

ومن هنا قال علماؤنا : ولا يُخرج العبد من الصبر كراهة النفس ، ولا وجدان المرارة والألم ، بل يكون مع ذلك صابراً ، لأن هذا وصف البشرية لما ينافى طبيعتها .

ولهذا وجدنا النبي ﷺ يقول عند موت ابنه إبراهيم : « إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » ، ودمعت عيناه حين رأى بنت بنته تحتضر ، فرّق لها ويكى . فلما سئل في ذلك قال : « إن هذه رحمة ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » ! فلا غرابة في حزن يعقوب على يوسف .

ولما لاموا يعقوب في استمراره على ذكر يوسف رغم مضي السنوات الطوال ، على فقدته ، وتأثير ذلك على صحته : قال : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وهنا نعلم أن الصبر الجميل الذي وعد به يعقوب - والنبي إذا وعده لم يخلف - لا ينافى الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى : إنما ينافى الشكوى من الله تعالى ، بإظهار الجزع ، والتبرم والسخط على القضاء ، والدعاء بدعوى الجاهلية ، ونحو ذلك مما يقوله أو يفعله الجاهلون بالله العظيم .

ومثل يعقوب هنا أيوب - عليهما السلام - فقد شكّا أيوب إلى ربه ما به من ضرر ، حين ناداه : ﴿ أَنَّى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٢) ، ومع ذلك أثنى الله عليه في كتاب الخلود بقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ، نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾ (٣) .

* * *

● يوسف :

ومن النماذج القرآنية المرموقة في عالم الصبر والصابرين يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

فقد كانت حياته سلسلة متلاحقة من البلاء ، دامية الحلقات ، فلا يفرغ من محنة إلا ليدخل في محنة مثلها أو أشد منها .

(١) يوسف : ٨٦ (٢) الأنبياء : ٨٣ (٣) سورة ص : ٤٤ .